



أحمد بوزفور

للرّفة

«النور يبصر النور،

والظلمة لا تبصر إلا الظلمة»

عبد القادر بنعجية

(... لم يسكت، أبوه أيضاً لم يسكت لهم حين حاولوا إغراءه بعد الاستقلال. إنها عائلة رجال، رجال أحرار: الأنفة في دمهم، والمستقبل مفتوح أمامهم، ماذا تريد أكثر من ذلك؟ الشرف والمال والمستقبل وال...).

كان صديقي يتكلم في حماس، وبحرارة. وأحياناً يشدني بيده، يوقفني في وسط الشارع، ويغرس عينيه الزائغتين في عيني الهاربتين، وأنفاسه السكرى في وجهي، ويصب لي/علي خطاباً الساخن.

شدت أذني بإحكام، وبدأت انظر إلى كلماته، كلمات جميلة، تليس المايوه وتستحم مرحة في أنفاس صاحبا الاستوائية، وأنا أنظر/أنفج من وراء زجاج. ولكنه يمدّ يده أحياناً فيوقني: يهشم الزجاج، ويصب لي/عليّ عجائزه الثرائرات:

(... أنا أعرفك وأعرفهم، دع الأمر لي.. لا تفعل شيئاً، قل فقط نعم، ولن تندم...). كنا ذاهبين إلى العرس، وصاحبي سكران، يبدو له الناس أطيّب الناس، والناس أحبب الناس، وأبدو له مشروعاً حافلاً بالإمكانات، ويبدو لي...

كنت أخاف أن يعربد في العرس، فحاولت أن أقول: نعم، وأخاف أن (يشريني) فحاولت أن أقول: لا. وأخيراً وعدته بدراسة الموضوع هذه الليلة على الطبيعة، وبالرد غداً، وكررت أمامه للمرة الألف ثقتي وصدقتي...

ودخلنا دار العرس، فوجدت أن خوفي لا أساس له، ماذا يهم أن تقول: نعم، في عرس؟ أو حتى أن تقول: لا؟

قدمني صاحبي في احتفال، وأجلسني في مكان الشرف، وذاب في حمى الأضواء والأصوات والوجوه، فبدا لي وسط العريضة العامة رصيناً، وجد مناخه، فبدأ يسيطر: يصفح ويقبل ويقهقه، يؤكد بالقطع، وينفي البتة، ويشير إليّ أحياناً وهو يستشهد بي.

كان العرس في القمة: مجموعة من الشباب تغني، وأصوات الشياخات تخترق الجو من بعيد، صوت التلفزيون يقرأ النشرة الأخيرة، وأصوات الناس تخاطب الناس دون أن تسمع الناس. وتحت قدمي زريّة بيضاء ناصعة، وأمامي طاولة عليها مختلف أنواع الزجاجات والكؤوس. وإلى جانبي، جاء أخيراً صاحبي، فجلس، تحيط به ضوضاء معارفه وضحكاتهم، وبدأ الحديث عني.. (سراق زيت أحمر كبير، كان يتحرك على الزريّة البيضاء، بجانب الطاولة متخبطاً بين أشعة الضوء وموجات الصوت. يسير قليلاً في صمت، ثم يقف، ويحرك شعيراته متقاطعة، ويتابع السير.. لا بد أنه كان يسمع، يتسمع؟ وأنا أيضاً كنت أسمع، مرغماً. لا أحب أن أسمع الكذب الذي يعرف صاحبه أنني أعرف أنه كذب، ويزعم مع ذلك كذباً أنني لا أحب أن أسمع الحديث عن نفسي، لأنه يعتقد كذباً: أنني أحب ذلك حباً جماً. عيناى تهربان إلى سراق الزيت دون جدوى، فأنت لا تستطيع أن ترى بعينيك شيئاً إذا كانت أذناك مشغولتين. ونظر صاحبي إليّ (لا بد أنه نظر إليّ) واطمأن إلى عيني الهاربتين، فصدق نفسه، ووضع لسانه في قفاز حريري أبيض، وتابع التشریح (غالا غالا غالا غالا...).

أما أنا ففسرتمت: دوّخني الضوء والحرارة واللغظ، فسرت دون شعور، دون حركة، دون صوت: وجدنتي في حافلة

صدر حديثاً عن دار الآداب

جورج طرابيشي

الروائي وبطله:

مقاربة للإشعور
في الرواية العربية

... إن أكثر الأعمال الفنية أصالة وأقدرها على التوصليل وأبقاها في الزمن هي تلك التي يقيض لها أن تبلغ العتبة المحرمة والمقدسة لمملكة الأشعور. ويخيّل إليّ أنّ ثلاثية «حكاية بخّار» لحنا مينة و«بدر زمانه» لمبارك ربيع من الروايات العربية القليلة التي أمكن لها الاقتراب من تلك العتبة. فقد استطاعت هاتان الروايتان، من خلال ما سنسميه بجدلالية الآباء العمالقة والأبناء الأقرام، أن تتحرّرا إلى حد غير قليل من وطأة الإكراهات الايديولوجية العاملة تحت إمرة «الوعي» والمرتبطة بطبيعة المرحلة التاريخية العربية، وأن تفتحا على خزان الأشعور كوى وسيعا بما فيه الكفاية ليتدفّق منها بزخم، ولكن ضيّقة أيضاً إلى الحدّ اللازم لتقنين هذا التدفق وفق أمر الجمالية.

المؤلف

مزدحمة بالرجال والنساء: الحر والعرق حتى الاختناق ولا صوت. لم تكن الحافلة وهي تجري تصدر صوتاً، والرجال لم... والنساء لم... والسائق لم... والجايي لم... وأنا أيضاً لم... فقد كنت أرى، واقفاً بانحراف، في سستيمتري الذي اقتطعته بالكذّ، وتحت وجهي مباشرة، وجه طفل صغير في الرابعة من عمره: وجه غض وحلو وجميل وصغير، لطفل يقف في حجر أبيه، الجالس محشوراً مع آخرين في المقعد المستطيل. وحولي وحول الطفل وحول أبيه مجموعة من الفتيات، يداعبن الطفل بأناملهن الحمراء، كالمناقير، يرتن على وجنتيه، (يخبلن) شعره، يبتسمن له، يقبلنه. وأبوه المحمر الخدين (من الخجل أو من الحرج؟ أو من السرور؟؟) يحرك شفثيه دون صوت، ويحاول إدماج الطفل في الجو. ولكن الطفل كان خارج الجو: وجهه الصغير الحلو حالم، وعيناه مشدودتان إلى خارج الجانب الأيسر للحافلة، حيث كان يرى (ليس ما وراء الزجاج ولكن) ما ينعكس عليه من الجانب الأيمن: الجدران والاعلانات والعناوين: (بنك... شركة... مؤسسة...) مقلوبة الكتابة معكوسة الأشكال. وجهي فوق وجهه، ووجهه فوق الجانب الأيمن للشارع المتحرك، المنعكس في الزجاج الأيسر للحافلة... دقيقة صغيرة ساهمة... دقيقتان... ثلاث دقا... وكأنا أحس بنظراتي المتفحصة، فرفع عينيه: ابتسم لي الصقر الصغير الجميل، وقالت لي عيناه: «عد إلى عمك الآن فقد عرفت، ولا عذر لك». حين التفتت إلى الطريق، وجدت الحافلة على الحافة، فاستيقظت هلعاً. كان سراق الزيت قد اختفى، وكانت (غاللا غاللا غالا غا) تتخثر في الجو نفاذة ثقيلة كرائحة (الجاوي). قلت لصديقي إنني مريض، سأعود إلى البيت.

خطفت نفسي، وهربت إلى الشارع. اشترت صحيفة الغد، كانت العناوين تقول (غاللا غاللا غالا لا)، في الطريق إلى البيت، وسط الشارع المضاء، وأنا وحدي، لم يكن الصديق قد سكت بعد. والعرس لم... والتلفزيون لم... والصحف لم.. والعالم لم... وحتى بعد أن دخلت البيت، وجدت الضوء الكهربائي - الذي نسيت إطفاءه قبل خروجي يقول (غاللا غاللا غالا لا) فأطفأته.

وحين سمعت العالم يسكت، استيقظت، فوجدتني على الحافة. وأنا لن...